

الابتكار في الحضارة الإسلامية



HUMAN
CENTERED
LABS

بسم الله الرحيم الرحيم

✦ عنوان الدليل:

الابتكار في الحضارة الإسلامية

✦ إعداد:

د. معن التنجي

✦ الناشر:

مجموعة مختبرات الابتكار

✦ تاريخ النشر:

7 أبريل 2026 - 19 شوال 1447

جميع الحقوق محفوظة

الابتكار لصالح من؟

ينادون الآن بمفاهيم وممارسات "التصميم المرتكز حول الإنسان"، و"الابتكار"، وتلك مناداة لا يتجاوز عمرها الثلاثين عاماً، والهدف منها هو أن تصبح الابتكارات المحيطة بنا من حولنا، من مستشفيات وفنادق وأنظمة مالية، أنفع للإنسان وأقرب إليه، والتخفيف من صبغتها المادية والتجارية البحتة. ولكن، وبرأيي الشخصي فهذه المحاولات لن تصل إلى مبتغاها في خدمة الإنسان وذلك لسببين:

- من يحدّد احتياجات الإنسان أصلاً؟ ما هي حدود النفع والضرر؟ ففي كثير من الدول الغربية سمح ببيع وتعاطي أنواع من المخدرات بالقانون، مثل ألمانيا وكندا، وهو مسموح أيضاً في 24 ولاية أمريكية. إذاً من هي مرجعيتنا في نفع الإنسان وضرره؟ من هو مصدر القانون؟ نعم الابتكار يجب أن يكون مرتكزاً حول الإنسان، لكن من يحدّد إنسانية الابتكار من عدمها؟

- هل الغاية النهائية هي فعلاً نفع الإنسان؟ أم أم نفع الإنسان هو بوابة لأهداف تجارية؟ هل الغاية من تطبيق ممارسات "التصميم المرتكز حول الإنسان" هو إرضاء الله، أم زيادة الثروة المادية عملاً بمبدأ "ربح متبادل win-win"؟ ولو حصل تعارض بين نفع الإنسان والربح المالي فكفة من ترجح؟ خصوصاً عندما تغيب الرقابة المادية (رقابة الزبون والمجتمع والدولة)؟

تحديات الابتكار المرتكز حول الإنسان:

- مرجعية تحديد احتياجات الإنسان.
- غياب الرقابة الذاتية عند التعارض مع الربح.

إذا بدون وجود مرجعية مطلقة في دقتها وصحتها لتحديد نفع الإنسان من ضره، وبدون غرس رقابة ذاتية، فلن نصل إلى ابتكار حقيقي يخدم الإنسان.

ما زال غياب
المرجعية
القيمية هو أكبر
تحدي في
ابتكارات الذكاء
الاصطناعي

وتحديد المرجعية القيمية في نفع الإنسان هي ليست مسألة جهد علمي مكثف، هي مهمة لا يمكن تحقيقها بالأبحاث المادية المجردة. فإذا أخذنا كمثال محاولات تطوير ذكاء اصطناعي فائق، فإن الإشكالات التقنية ليست تحدياً يذكر أمام إشكالية تحديد مرجعية القيم الحاكمة للذكاء الفائق، فكما هو مشار في كتابين شائعين في تطوير الذكاء الفائق (Superintelligence, Life 3.0) فإن تطوير الذكاء الاصطناعي إلى أن يصل إلى الذكاء الفائق مستمر، وقد يصلون إليه نظرياً، لكن ما يخيفهم ويصيبهم بالرهاع، هو الفشل في التصميم الأخلاقي والقيمي للذكاء الفائق، غياب المرجعية المطلقة في صحتها ودقتها للأخلاق والقيم هي أكبر تحدي!

عندما تغيب
الرقابة
الحكومية،
الكوارث
تتضاعف

وبدون رقابة ذاتية، فلا نتوقع أن ترجح كفة الإنسان على كفة المال أبداً. لنأخذ مدينة لندن كمثال، فيها حوالي 630 ألف كاميرة مراقبة خارجية لحفظ الأمن العام، أرادوا تجربة إطفائها لتوفير ملايين الجنيهات، وتم ذلك فعلاً في عام 2018 ليلة واحدة فقط في بعض شوارع لندن المركزية، وحصلت الكارثة التاريخية الشهيرة، وهي أن ارتفعت معدّلات الجريمة والسرقة عشرة أضعاف في تلك الليلة! فهل نتوقع ابتكاراً يرجح كفة الإنسان على المال مع غياب الرقابة!

الابتكار لم يكن
لأجل الإنسان
فعلياً إلا في ظل
الحضارة
الإسلامية

فكيف إذا تخيلنا أن يكون ميزاناً بكفة واحدة وهو الإنسان فقط، أو بمعنى أدق رضا الله! هل يمكن أن تتخيل أن تتطور الفنادق الآن لتكون أفخم وأرقى وأكثر إنسانية، وبذات الوقت مجانية! هل لك أن تتخيل تأميناً صحياً مجانياً بالكامل ولجميع الناس، بل ويحصل المريض على تعويض مالي بعد مغادرته للمشفى! هل لك أن تتخيل أن تتعلم الآن في ما يسمونه حالياً “الجامعة المصنفة أولى عالمياً” مجاناً! هل هذا ابتكار حول الإنسان، أم ابتكار حول المال؟

هل تعلم أن الرحالة الشهير ابن بطوطة لم ينفق في رحلته الشهيرة ديناراً واحداً بسبب وجود سلسلة فنادق مجانية على طول طرق السفر؟ هل كنت تعلم بأن العلم كان مجانياً؟ والرعاية الصحية مجانية؟ مئات وآلاف القصص التي نستغربها الآن في واقعنا المادي التجاري الذي حوّل الإنسان إلى سلعة!

مرجعية الوحي
في الحضارة
الإسلامية هو
الأساس الذي
قامت عليه

ألا يحق لنا أن نعلم ذلك، ونستذكر ذلك، ونفتخر بحضارتنا التي كان وما يزال وسيبقى لها أثر على البشرية، الحضارة الإسلامية التي ننتمي إليها، باقتناع فكري، لا ديموغرافي ولا عرقي. تلك الحضارة التي انطلقت من مرجعية الوحي، القرآن والسنة، المحفوظة من الله، التي جعلت نفع الإنسان حقيقة لا خيال، وجعلت الإنسان هدفاً لا وسيلة وسلعة.

أضع بين أيديكم سلسلة من قصص عن الابتكار في الحضارة الإسلامية، نشرتها يومياً في رمضان لعام 1447 هـ، وقمت الآن بتجميعها الآن في هذا الملف، الذي أسأل الله أن يساهم في غرس حب تلك الحضارة في نفوسكم وأفكاركم، ويعزز انتماءكم إليها. ويظهر الآن السؤال:

هل مازالت الحضارة الإسلامية مادياً وقيماً رائدة الآن في زمننا المعاصر؟ أم أن الريادة كانت في الماضي فقط؟

هذا ما سأجيب عنه في سلسلة رمضان المقبل، إن كتب الله لي عمراً إلى حينه. ونسأل الله القبول...

د. معن التنجي



وقف الزوجات الغاضبات

بيت لترميم البيوت

بيوت إيواء للتهدئة والإرشاد الأسري.. وقف يوفر ملاذاً آمناً ومفروشاً لاستقبال الزوجات أثناء الخلافات الحادة لضمان التهدئة وتقليل نسب الطلاق.





المشكلة

حين يقع خلاف زوجي حاد، تجد الزوجة نفسها بين خيارين: البقاء في جو متوتر، أو الخروج إلى الشارع دون مأوى. وكلا الخيارين قد يهدم الأسرة.



الابتكار

أسّس من ريع الوقف بيت مفروش مُعدّ بالطعام والشراب وكل ما يحتاجه الساكن. تذهب إليه الزوجة التي يقع بينها وبين زوجها نفور، فتظل آكلة شاربة في بيئة هادئة إلى أن يذهب ما بينهما من جفاء، وتصفو النفوس، فتعود إلى بيت الزوجية من جديد.



الأثر

وقرّ الوقف فترة تهدئة لم تكن متاحة للأسر، فقلّ نسب الطلاق العاطفي. وهو سبق تاريخي لمفهوم "بيوت الإيواء المؤقت" و"مراكز الإرشاد الأسري".



الغاية

رضا الله



وقف الأواني المكسورة

تأمين اجتماعي يدرأ الخوف عن المستضعفين..
مؤسسة وقفية تعوض الخدم فوراً عن الأواني
الصينية المكسورة لإنقاذهم من غضب الأثرياء
و ضمان أمانهم الوظيفي.





المشكلة

يعمل الخدم في بيوت الأثرياء التي تزدان بالأواني الصينية الغالية الثمن. وكان كسر إناء واحد يعني غضب صاحب المنزل وربما الضرب أو الطرد، فيعيش الخادم في خوف من الاقتراب من هذه الأواني الفاخرة.



الابتكار

أنشأ أحد المحسنين وقفًا يُشترى من ريعه صحاف الخزف الصيني. فكل خادم كُسرَت أنيته يذهب إلى إدارة الوقف، يترك الإناء المكسور ويأخذ إناءً صحيحاً بدلاً منه فوراً.



الأثر

راحة نفسية وثقة لدى الخدم، وتحقق أمان وظيفي حقيقي لأضعف فئة في المجتمع. وهو نموذج مبكر لفهوم "التأمين الاجتماعي" قبل أن يعرفه العالم بقرون.



الغاية

رضا الله



أول مستشفى في التاريخ البيمارستان الأموي

أول مستشفى عام ومنظم في العالم.. بيمارستان أموي بدمشق أقر العلاج المجاني، وعزل الأمراض المعدية، وخصّ مساعدين دائمين للمكفوفين.





المشكلة

حتى أوائل القرن الثامن الميلادي لم تكن هناك مؤسسات طبية عامة منظّمة؛ كان العلاج يتم في البيوت، أو في دور محدودة، أو لدى أطباء جوّالين، بلا نظام واضح ولا رعاية للفقراء. مع توسع الدولة الأموية وكثرة السكان في دمشق، برزت الحاجة لمكان يعالج المرضى جميعاً، ويعزل أصحاب الأمراض المعدية.



الابتكار

أنشأ الخليفة الوليد بن عبد الملك أول بيمارستان عام في دمشق سنة 88هـ/707م، كأقدم مستشفى منظم في العالم. رتب فيه الأطباء والمعالجين، وأجرى لهم الرواتب، وأمر بعلاج المرضى مجاناً، وطبق مبدأ عزل الأمراض المعدية، وجعل لكل مقعدٍ خادماً، ولكل ضرير قائداً يساعده في التنقل.



الأثر

تحوّل البيمارستان إلى نموذج يُحتذى في العالم، وتوسّعت التجربة لتصبح مؤسسة صحية عامة متكاملة، ممّولة من الدولة والأوقاف.



الغاية

رضا الله



وقف الإيحاء بالشفاء

أول تجربة علاج نفسي موثقة!

طب نفسي سلوكي يسبق العصر.. ابتكار حيلة
تمريضية مدروسة لإسعاد المريض أحاديث إيجابية
مباشرة عن حالته لرفع معنوياته وتعجيل شفائه.





المشكلة

المريض حين يسمع حوله حديثاً يائساً عن مرضه يزداد سوءاً، بينما كان الأطباء يلاحظون أن الأمل يسرّع الشفاء لكن لا توجد آلية رسمية لبثّه.



الابتكار

ضمن وظائف البيمارستان وبتمويل من الوقف الجديد، يُكفّ ممرّضان بالوقوف قريباً من المريض بحيث يسمعهما ولا يراهما. يقول أحدهما: "ماذا قال الطبيب عن هذا المريض؟" فيجيب الآخر: "إن الطبيب يقول إنه على خير، فهو مرجوّ الشفاء، ولا يوجد في علته ما يُقلق، وربما نهض من فراش مرضه بعد يومين أو ثلاثة".



الأثر

لون من الإيحاء النفسي الإيجابي يقرب الشفاء ويكسب العافية. وقد ثبت علمياً أن هذا له أثره الإيجابي في التعجيل بالشفاء. وهو نموذج متقدم جداً لطب النفس السلوكي.



الغاية

رضا الله



عطلة الحيوانات

أول إجازة مخصصة للحيوانات في التاريخ!

أقدم تشريع رسمي لحقوق الحيوان.. فرمان عثماني يمنع إرهاق دواب النقل ويمنحها إجازة أسبوعية إلزامية للراحة كل يوم جمعة.



كانت الحيوانات (الحمير والأحصنة) تُستخدم لنقل الأحمال الثقيلة طوال أيام الأسبوع دون راحة، مما يُنهكها ويُقصّر عمرها.



المشكلة

أصدر الخليفة عبد المجيد عام 1853م فرماناً يمنع استخدام الحيوانات للنقل وركوبها يوم الجمعة حتى ترتاح في هذا اليوم.



الابتكار

يُعدّ هذا من أقدم التشريعات الرسمية لحقوق الحيوان في العالم، سابقاً لقوانين حماية الحيوان التي يتداولونها الآن.



الأثر

رضا الله



الغاية



وقف الثوب الملوّث

لا يخرج إنسان مكسور خاطر

حماية للكرامة الإنسانية في أدق تفاصيلها.. وقف خيري يمنح ثوباً جديداً لمن تتسخ ملابسه في السوق لئلا يمشي بين الناس شاعراً بالخجل والانكسار.





المشكلة

إن وقع على ثوب شخص زيت أو طعام في السوق، لا يملك ثمن ثوب جديد، فيمشي بين الناس بمظهر يُخجله.



الابتكار

أنشئ وقف يُعطي منه كل من تلوث ثوبه ما يشتري به ثوباً جديداً، حفظاً لكرامته ومظهره.



الأثر

نموذج استثنائي لحماية الكرامة الإنسانية في أدق تفاصيل الحياة اليومية. يعكس حساسية المجتمع المسلم لمشاعر أفرادهِ حتى في الأمور التي قد تبدو صغيرة.



الغاية

رضا الله



المرأة التي أسّست أول جامعة في التاريخ

فاطمة الفهرية

أقدم مؤسسة تعليم عالٍ في العالم.. سيدة مسلمة
تؤسس من مالها جامع القرويين الذي ألهم جامعات
أوروبا بنظام الكليات والشهادات العلمية.





المشكلة

مع نشوء مدينة فاس في القرن الثالث الهجري، احتاج أهلها - خاصة المهاجرين - لمركز علمي ثابت يتجاوز حلقات التعليم العفوية، ويوفر تعليماً عالياً منظماً ومستمرّاً للأجيال.



الابتكار

أسست فاطمة بنت محمد الفهري جامع القرويين عام 245هـ/859م، من ميراثها الخاص، وبنّت المسجد بسعة كبيرة ليكون مكان عبادة وعلم معاً. مع الوقت تطور الجامع إلى مؤسسة تعليم عالٍ تمنح إجازات علمية (درجات)، لها برامج دراسة، وسلك أساتذة، ونظام قبول، فأقرت اليونسكو وغينيس أنه أقدم مؤسسة تعليم عالٍ تمنح شهادات في العالم لا تزال تعمل حتى اليوم.



الأثر

ألهم هذا النموذج الجامعات الأوروبية اللاحقة مثل بولونيا وأكسفورد من حيث الشهادات، ونظام الكليات، والحياة العلمية المنظمة.



الغاية

رضا الله



أول مستشفى جامعي في التاريخ:

البيمارستان العسدي ببغداد

المستشفيات الجامعية قبل أن يعرفها الغرب..
تأسيس بيمارستان متطور في بغداد يدمج بين
تقديم الخدمة الطبية والتدريب العملي المباشر
لطلاب الطب.





المشكلة

بعد انتشار البيمارستانات، ظهرت الحاجة لمركز علاجي تعليمي يُدرَّب فيه الأطباء عملياً، بدل الاكتفاء بدراسة الكتب، خاصة في عاصمة العلم بغداد.



الابتكار

أنشأ عضد الدولة البويهري (372هـ/983م) البيمارستان العضدي في بغداد، الذي يُعدّ أقدم مستشفى تعليمي في التاريخ؛ اختير موقعه بعد تجارب عملية على الهواء والصحة، وُجِع فيه أمره الأطباء، ووضعت فيه مكتبة طبية ضخمة، ونظام عملي لتدريب طلاب الطب بجوار الأطباء الكبار.



الأثر

أصبح نموذجاً مبكراً لفهوم "Teaching Hospital"، أي المستشفى الجامعي الذي يجمع بين الخدمة الطبية والتعليم والبحث، وذلك قبل قرون من ظهور النماذج الأوروبية المقلّدة.



الغاية

رضا الله



أوقاف حراسة الأماكن المرعبة

أمن نفسي على الطرق

شرطة مجتمعية لتبديد الخوف وحفظ الأمن.. أوقاف تخصص رواتب لحراس أشداء لتأمين الطرق النائية والمخيفة ليلاً وحماية المارين من الاعتداء.



كانت بعض الطرق النائية أو الأماكن المهجورة تُخيف الناس ليلاً، ويجعلها عرضة للسرقة أو الاعتداء.



المشكلة

أوقفت أموال لتعيين حراس أشداء الجسم وقوي القلب لحراسة تلك الأماكن المخوفة، يتقاضون أجورهم من الوقف، لا من الناس، فيضمنون أمن الطريق للمارين خاصة ليلاً. سُمي بعضها “وقف حراسة الأماكن المرعبة”.



الابتكار

هذا النوع من الوقف يعالج “الخوف” كحالة نفسية واجتماعية، ويمثل نموذجاً مبكراً لبرامج “أمن المجتمعات المحلي” و”الإدارة والحراسة المجتمعية” التي تتبناها البلديات اليوم.



الأثر

رضا الله



الغاية



أول دار تقاعد للحيوانات في التاريخ المرج الأخضر بدمشق

أول نظام تقاعد مؤسسي للحيوانات العاملة في التاريخ.. أوقاف خضراء شاسعة مخصصة لرعاية دواب العمل المسنة لتكمل بقية حياتها بحرية وسلام.





المشكلة



الخيول والبغال والحمير حين تكبر وتعجز عن العمل، كان أصحابها يتركونها في الشوارع تواجه الجوع والموت البطيء.

الابتكار



أوقفت أرض خضراء واسعة في دمشق سُمّيت "أرض المرج الأخضر" لرعاية الحيوانات المسنّة العاجزة. ترعى فيها بحرية دون رباط حتى تموت موتاً طبيعياً. ولاحقاً في العهد العثماني، تم توسيع دار تقاعد الحيوانات لتشمل منطقة خضراء كبيرة على نهر بردى، وأوكلت مهمة رعايتها لسكان المجمع الخيري المجاور (التكية السليمانية).

الأثر



أول نظام "تقاعد" للحيوانات العاملة في التاريخ. استمر العمل به لعشرة قرون متواصلة.

الغاية



رضا الله



وقف تزويج المكفوفين بفاس

مبادرة الدمج الاجتماعي

دمج اجتماعي غير مسبوق لذوي الاحتياجات.. دار وقفية في فاس تتكفل بتزويج المكفوفين وتأمين مسكنهم ومهرهم لضمان استقرارهم الأسري بكرامة.





المكفوفون كانوا من أكثر الفئات تهمةً اجتماعياً، يصعب عليهم الزواج والاستقرار.



المشكلة

أنشئت دار خاصة في مدينة فاس المغربية وقفاً لتزويج المكفوفين وتأمين حياة كريمة لهم، تشمل المسكن والمهر والتجهيز.



الابتكار

أول "وقف متخصص لذوي الاحتياجات الخاصة" في التاريخ، يسبق مفهوم "الدمج الاجتماعي" الحالي بقرون.



الأثر

رضا الله



الغاية



سبيل الحليب والسكر

الميزات المجاني

أول برنامج توزيع غذائي مجاني مخصص للرضع..
صلاح الدين الأيوبي يوفر ميزابين للحليب والماء
المحلى في دمشق لمكافحة سوء تغذية الأطفال.





المشكلة

الأطفال الرضع في دمشق كانوا يعانون من سوء التغذية، والأمهات الفقيرات لا يجدن ما يطعمن به أبناءهن.



الابتكار

جعل صلاح الدين الأيوبي في أحد أبواب قلعة دمشق ميزابًا يسيل منه الحليب، وآخر يسيل منه ماء مُحلّى بالسكر. تأتي الأمهات يومين في الأسبوع ليأخذن الحليب والشراب المحلّى لأطفالهن.



الأثر

كان أول نظام توزيع غذائي مجاني مخصص للأطفال والأمهات، يُشبهه تمامًا برنامج "نقطة الحليب" (Milk Drop) الذي لم تعرفه أوروبا إلا في أواخر القرن التاسع عشر.



الغاية

رضا الله



مدرسة القطط بدمشق

دار رعاية للقطط الضالة

رقي مجتمعي ورحمة بلا حدود.. وقف دمشقي يطعم
مئات القطط الضالة يومياً، مع توفير رعاية واهتمام
استثنائي للقطط المكفوفة العاجزة عن الصيد.





المشكلة

مئات القلط الضالة في دمشق كانت تعاني الجوع والمرض، خاصة المكفوفة منها التي لا تستطيع الصيد.



الابتكار

أنشئ وقف في حي القيمرية (حي التجار بدمشق) سُمي "مدرسة القطار". يُقدّم فيه الطعام والشراب يوميًا للقطط الضالة، مع عناية خاصة بالمكفوفة منها.



الأثر

كان يجتمع في الوقف ما يزيد على أربعمائة قطة في مشهد يعكس الرحمة والرفق بالمجتمع. واستمر العمل بهذا الوقف حتى عهد قريب.



الغاية

رضا الله



أول صيدلية في التاريخ

أول تنظيم لمهنة الصيدلة الذي سبق أوروبا بألف عام

إرساء أقدم معايير الجودة والرقابة الدوائية.. بغداد تفتتح أول صيدلية عامة، وتفصلها عن الطب، وتخضع الأدوية للتفتيش الحكومي الصارم.





المشكلة

كان الطبيب والدوائي شخصاً واحداً: يشخص المرض ويعطيك الدواء من عنده. لا رقابة، لا معايير نقاء، لا جهة مستقلة تتحقق مما يأكله المريض. الدواء والسّم يصنعهما نفس الشخص.



الابتكار

في بغداد عام 754م - في عهد هارون الرشيد - فُتحت أول صيدلية عامة في التاريخ. وفصلت الدولة مهنة الطبيب عن الصيدلاني. ووضعت معايير لنقاء الأدوية وتركيبها. خضع الصيدلانيون للامتحان والترخيص. وعُيّن مفتشون حكوميون يتفقدون الصيدليات ويدققون جودتها. وأصدرت كتاب "مفردات الأدوية" لتوحيد الأسماء والجرعات على مستوى الدولة.

الأثر

أوروبا لم تفصل قانونياً بين الطب والصيدلة إلا في القرن الثالث عشر الميلادي في صقلية (1231م) مقتدين بالنموذج الإسلامي. والذي بدأ يسمونه الآن بـ "معايير الجودة" - وهي معايير بذر بذرتها صيدلاني مسلم في بغداد قبل ألف عام.



الغاية

رضا الله



أكبر وأفخم سلسلة فنادق دولية مجانية!

خان مجاني كل 30 كيلو متراً

فنادق مجانية على مسارات القوافل.. شبكة "خانات" متكاملة توفر الإيواء والطعام والعلاج البيطري والطبي بأعلى المعايير لأي مسافر.






المشكلة

السفر في العالم القديم كان مقامرة بالحياة. لا مأوى بين المدن، ولا أمان، ولا طعام، ولا بيّطري لداّبّتك، ولا طبيب لك. ولهذا كان الناس يتجنبون الأسفار إلا للضرورة القصوى، لكن في العالم الإسلامي الوضع مختلف...



الابتكار

بنت الدولة الإسلامية بدعم من الأوقاف شبكة خانات على طرق التجارة الكبرى: درب خراسان، وطريق الحجاز، وطريق الشام. كل خان يقع على مسافة 30 كيلومتراً من سابقه، وهي المسافة التي تقطعها القافلة في يوم واحد. كل خان يشمل: حجرات مجانية للمسافرين، وإسطبل للدواب، وبئر أو صهريج ماء، ومخزن للأعلاف، وحمّام، وأحياناً طبيب وبيّطري وحارس.

بنت السلطانة الأيوبية ضيفة خاتون في مدينة حلب وحدها أكثر من أربعين خاناً على طريق واحد.



الأثر

وصف الرحالة ابن بطوطة كيف قطع آلاف الكيلومترات من طنجة إلى الصين دون أن يدفع ليلة واحدة من ماله الخاص. اليوم الفنادق الغربية صناعة تريليونية، وكان المسلم يقدم الخدمة ذاتها مجاناً وبأعلى المعايير العالمية آنذاك لكل مسافر، أياً كان لونه ودينه وجنسه.

رضا الله



الغاية



ابتكر المسلمون أول نظام مصرفي في التاريخ!

منذ أكثر من 12 قرناً من الآن!

ثورة مالية أنقذت التجارة الدولية.. ابتكار نظام الصكوك (الشيكات) والحوالات لحماية الأموال من قطاع الطرق قبل ظهور بنوك أوروبا بثلاثة قرون.






المشكلة

التجارة الدولية قبل اختراع النقل الآمن للأموال كانت رحلة موت: القوافل تحمل معها ذهباً وفضة، وقطاع الطرق ينتظرون على كل درب. الاقتصاد أسير الطريق، إذا ضاع المال، ضاعت التجارة.



الابتكار

ابتكر المسلمون في القرن الثامن الميلادي نظام الصَّكِّ، وهو وثيقة مكتوبة تأمر مصرفياً في مدينة أخرى بدفع مبلغ معين لحاملها. كان التاجر يودع ماله في بغداد ويأخذ "صكاً" يصرفه في دمشق أو سمرقند. شمل ذلك ابتكار منظومة مصرفية متكاملة: وثائق إيداع، وأوامر صرف، وخطابات اعتماد، وحتى نظاماً أساسياً للحوالات المصرفية بين المدن البعيدة.



الأثر

الكلمة الإنجليزية "Cheque" مقلّدة من الكلمة العربية "صكّ"! وهذا وحده يقول كل شيء. البنوك الأوروبية الأولى (بنك البندقية 1157م، بنك جنوة 1407م) جاءت بعد النظام المصرفي الإسلامي بثلاثة قرون، وكثير من آلياتها مقلّدة مباشرة من الابتكارات الإسلامية عبر الاحتكاك في صقلية والأندلس.

رضا الله



الغاية



المسلمة التي حكمت حلب ضيفة خاتون

قيادة نسائية أبهرت المؤرخين وعمرت الأوطان..
ضيفة خاتون تدير حلب بحكمة سياسية وعمرانية
فذة، وترد عنها أطماع المغول والصليبيين.





المشكلة

عام 1236م، توفي ملك حلب الأيوبي فجأةً، وورثه ولده الطفل. والمدينة في الخارج ضغوط: المغول يتقدمون من الشرق، والصليبيون يتحشّون من الغرب، والأمراء الأيوبيون يتنافسون من الداخل.



القيادة

وقفت ضيفة خاتون – ابنة الملك العادل ابن أخ صلاح الدين – وأمسكت بزمام الأمر. في الخمسين من عمرها، أدارت حلب ست سنوات بحكمة سياسية أبهرت المؤرخين. أزالَت الضرائب والمكوس من أول يوم. حصّنت القلعة حتى غدت عجيبةً معمارية. مدّت شبكة المياه بيتاً بيتاً. بنت جامع الفردوس الذي وصفه المؤرخون بأنه من أجمل مساجد الشام. وكوّنت أحلافاً ذكية مع حمص ودمشق وحمّاه حتى ردّت الأطماع المحيطة عن حلب.



الأثر

قال عنها الإمام الذهبي: "كانت ملكة جليلة عاقلة، تصرفت تصرف السلاطين، ونهضت بالملك أتمّ النهوض." "و حين ماتت عام 1242م – أغلقت حلب أبوابها ثلاثة أيام جِداداً. ليس بأمر سلطان – بل بحزن حقيقي من شعب فقد أمّاً فاضلة لمدينة عريقة.



الغاية

رضا الله



المرأة التي أفتى ملوك العصر برأيها

فاطمة بنت محمد السمرقندية

شراكة نسائية في القيادة والقرار الفقهي.. الفقيهة فاطمة السمرقندية تشترط مشاركتها في الفتوى وتصحح أخطاء كبار علماء عصرها منذ عشرة قرون.



كان الفقه الإسلامي في القرن الثاني عشر علماً حياً متطوراً يحتاج عقولاً صافية ترى ما غاب على غيرها. والمسائل العلمية تزداد تعقيداً. الأمر الذي ألهم فاطمة السمرقندية لتعلم الفقه.

الإلهام



تفقت فاطمة بأبيها الفقيه الحنفي الكبير علاء الدين الكاساني، حتى فاقته في مسائل. ثم خطبها من أبيها عالم شاب، فاشتريت فاطمة هي بنفسها شرطها الشهير: أن تكون شريكاً في الفتوى – فوق الثلاثة معاً: الأب والزوج وفاطمة. وكانت تصحح خطأ زوجها في الفتاوى فيرجع عن قوله إلى قولها. وذاع صيتها حتى كان الملك العادل نور الدين محمود يستشيرها في مسائل الحكم والفقه.

العلم



الأثر

لم تكن فاطمة استثناءً – بل كانت نموذجاً لسلسلة طويلة من الفقيهات المفتيات في الحضارة الإسلامية. اليوم يُطالبون بحق المرأة في "دخول ميادين القيادة والقرار" – وكانت المرأة المسلمة تمارس ذلك في غرف الفتوى والقضاء منذ عشرة قرون.



رضا الله

الغاية





"العذراء" العالمية المعلمة الرحالة

زينب بنت كمال الدين

رحالة العلم التي لم تتعارض مع الضوابط الاجتماعية..
امرأة مسلمة تتنقل وحيدة بين حواضر العالم الإسلامي
طلباً للمعرفة حتى غدت كبيرة محدثي عصرها.





الإلهام

في القرن الرابع عشر الميلادي، كانت دمشق مدينة علم. لكن العلم لا حدود له، والعالم الذي يظن أن ما في مدينته يكفيه قد ظنّ ظناً سيئاً بالمعرفة. فكيف تبلغ الذرى إن قعدت حيث ولدت؟



القيادة

وُلدت زينب بنت كمال الدين في دمشق، تعلّمت على أبيها، ثم لم تكتفِ. رحلت إلى ماردين وبغداد وحلب وهوران والإسكندرية، تبحث عن كل عالم يُضيف إلى علمها حرفاً. حتى أصبحت كبيرة محدّثي عصرها في الشام. جاءها التلاميذ من كل حذب وصبوب، وخرج من يدها علماء كبار. عاشت تسعةً وتسعين عاماً لم تتزوج فيها ولم يحجبها فقر ولا سفر ولا حواجز اجتماعية عن طلب العلم، فلُقبت بـ"العذراء الكبرى في الحديث".



الأثر

في القرن الرابع عشر، كانت امرأة تنتقل بثقة من دمشق إلى بغداد إلى مصر طلباً للعلم. بينما في أوروبا لم تكن المرأة تُقبل في الجامعات أصلاً! وأول امرأة تحصل على شهادة جامعية في أوروبا كانت عام 1678م.



الغاية

رضا الله



المرأة التي ابتكرت عيّن الفلك

مريم الإسطرلابي

شراكة نسائية في ريادة الفضاء والملاحة.. مريم الإسطرلابية تبتكر تطويراً جوهرياً لأداة الإسطرلاب وتصبح مستشارة علمية فذة في بلاط حاكم حلب.





الإلهام

الإسطرلاب هي أداة رصد الأجرام السماوية التي يعتمد عليها الملاحون والفلكيون والمهندسون، كانت أداة دقيقة تتطلب ذهنًا رياضياً نادراً لتصميمها وابتكارها.



القيادة

في حلب في القرن العاشر الميلادي، ورثت مريم الإسطرلابي عن أبيها العالم عشق النجوم وعلم الرياضيات. فلم تكتفِ بما وجدت، بل ابتكرت في الإسطرلاب تطويراً جوهرياً: أضافت إليه قدرات حسابية جديدة جعلته أكثر دقة في تحديد المواقع والأوقات وأجسام السماء. وعُرف إسطرلابها بالتفوق حتى استقدمها حاكم حلب إلى بلاطه مستشارةً علمية، وأجرى عليها راتباً من بيت المال.



الأثر

أداة الإسطرلاب هي الجدة التقنية للـ GPS الحديث. وقد بنى الغرب ملاحته البحرية الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر على أدوات الفلك الإسلامية. وفي أصل تطوير إحداها امرأة من حلب. اليوم تفتخر "ناسا" بأن لها موظفات. وفي حلب القرن العاشر، كانت المرأة مستشارةً علمية في بلاط الحكم.



الغاية

رضا الله



المرأة التي أسست أول مركز اجتماعي للنساء

تذكر برابي خاتون

أول مؤسسة إيواء شاملة لدعم المتأثرات.. أميرة مملوكية تأسس مأوى يوفر السكن والتعليم والتأهيل النفسي لحماية كرامة الأرامل والمطلقات.



في المجتمع المملوكي في مصر والشام، كانت المرأة التي يموت زوجها أو يُطلقها تجد نفسها بين حجرين: إما العودة إلى بيت أهلها (إن كان لها أهل)، وإما التشتت. لا مؤسسة تحتضنها، ولا نظام يكفل لها كرامتها في ساعة الضعف.

الإلهام



آثرت تذكراي خاتون – ابنة السلطان الظاهر بيبرس – أن تصرف وقتها وميراثها لمن هنَّ أشدَّ حاجةً. أنشأت رباطاً مخصصاً للأرامل والمطلقات في القاهرة. لم يكن مجرد مأوى بالمعنى المادي – بل ضمَّ علامات لوعظ النساء وتفقيهنَّ في دينهن، وبرنامجاً لتعليمهن ما يُعينهن على الاستقلال والحياة الكريمة.

القيادة



هو أول مأوى اجتماعي مؤسسي للنساء المتأثرات يجمع في مكان واحد: الإيواء، والتعليم، والتأهيل النفسي، والدعم الديني. ما تُنشئه الدول الغربية اليوم من "ملاجئ المرأة" و"مراكز التعافي من العنف" – كان يعمل في القاهرة منذ القرن الثالث عشر. والفارق أن هذا المأوى أنشأته امرأة، بوقف خاص، دون انتظار قانون أو ميزانية حكومية.

الأثر



رضا الله

الغاية





أول وأرقى نظام قضائي في تاريخ الحضارات!

حيث يقف الوالي أمام القاضي!

قضاء لا حصانة فيه.. إرساء أعظم قضاء إداري مستقل يتيح للمظلوم مقاضاة الدولة بصورة مجانية، في وقت كان الغرب يقدر على أخطاء حكامه.





المشكلة

في الحضارات القديمة، الحاكم فوق المحاسبة. لا قانون يعلو عليه، ولا محكمة تستدعيه. فأين يذهب المظلوم؟ إلى الحاكم الذي ظلمه؟



الابتكار

تطوّرت فكرة ديوان المظالم عبر التاريخ الإسلامي. بذرته الأولى كانت في عهد النبي ﷺ وصحابته، ثم أرسى عمر بن الخطاب محاسبةً منهجيةً للولاة وقيد صلاحياتهم بوثائق مكتوبة. ثم طوّر عمر بن عبد العزيز المنظومة جذرياً بفرض استقلالية القضاء ورد المظالم دون استثناء. غير أن التنظيم المؤسسي الكامل – بمقرّ ثابت وقضاة معيّنين ومسطرة مكتوبة – تحقق في عهد المهدي والرشيد، حيث بات للإنسان حق رفع شكواه ضد أي أحد بما فيه الحاكم، دون وسيط ودون أجر.



الأثر

يُمثّل ديوان المظالم في صورته المكمّلة أرقى أنظمة القضاء الإداري في تاريخ الحضارات، إذ أرسى مبدأ مساءلة الدولة أمام المواطن في وقت كانت فيه أوروبا تعيش تحت مبدأ "الملك لا يخطئ" (The King can do no wrong) الذي لم يُلغَ رسمياً في بريطانيا إلا قبل 79 سنة فقط!



الغاية

رضا الله



أول مقهى في التاريخ! بدأ في مكة المكرمة قبل إيطاليا وأوروبا

فضاء الابتكار الثقافي الأول الذي صدرته مكة للعالم.. ابتكار "المقاهي" كملتقى فكري وعلمي واجتماعي راقٍ قبل أن تعرفه أوروبا بأكثر من قرن.





المشكلة

كان الرجل العادي – التاجر والعالم والشاعر والطالب – يريد مكاناً يجلس فيه مع نظيره ليتجاذب علوم الساعة، ويسمع الأخبار ويُناقش ويقرأ. المسجد له حرمة. البيت خاص. السوق ضجيج.



الابتكار

في مطلع القرن السادس عشر، في مكة المكرمة، ابتكر لأول مرة في تاريخ الإنسانية مكانٌ يُسمى "القهوة خانة": فضاء ثقافي عام يقدم القهوة. يدفع الرجل ثمن فنجانه ويجلس بين الناس. كان فيها الشطرنج لمن يريد التفكير، والقراءة والحوار لمن يريد العلم، والأشعار والأخبار لمن يريد المعرفة. ثم انتشرت إلى القاهرة والشام وبغداد، حتى بلغت إسطنبول عام 1555م حيث سمّاها الناس "مدرسة العقلاء".

الأثر



أوروبا لم تعرف القهوة والمقهى إلا عبر تجار البندقية عام 1645م، أي بعد مكة المكرمة بأكثر من قرن وثلاثين عاماً. ثم تبعتها أكسفورد وباريس. والكلمة نفسها شاهدة: Coffee إنجليزية، وكل اللغات تعترف بأن الأصل واحد وأنه عربي.



الغاية

رضا الله



التأمين الصحي الشامل والمجاني الوحيد في التاريخ!

تأمين صحي شامل ومجاني مع فترة نقاهة مدفوعة الأجر.. مستشفيات تعالج الجميع وتصرف للمتعافي مالا يغنيه عن العمل الشاق فور خروجه لئلا ينتكس.





المشكلة

المرض يُصيب الفقير فيلقيه في فراشه، ويقطع رزقه في اليوم الذي يحتاجه. في معظم الحضارات عبر التاريخ، كان المرض نهاية الفقير. أما في الحضارة الإسلامية، فقد كان الوضع مختلفاً عن العالم.

الابتكار



منذ القرن الثامن الميلادي، انتشر في العالم الإسلامي شبكة مستشفيات ممولة من الأوقاف، تحت مبدأ: "لكل مريض، غنياً أو فقيراً، مقيماً أو غريباً، حراً أو عبداً، حق في العلاج الكامل المجاني".

يدخل المريض فيعطى ثياباً نظيفة، ويُطعم طعاماً مخصصاً لمرضه، ويُعالج على يد أطباء يتقاضون رواتبهم من الوقف لا منه. وحين يتعافى، تُعاد إليه ثيابه وأمواله، ويُصرف له مبلغ من المال يكفيه حتى يعود للعمل. والسبب مكتوب صريحاً في حجج الأوقاف: "حتى لا يُضطر المريض للعمل الشاق فور خروجه فينتكس، بل يأخذ وقته في النقاهاة وراحة البال".

الأثر



في الوقت الذي مازالت كبرى الدول الغربية تتصارع حتى الآن على تشريع التأمين الصحي المجاني، وتحولت المشافي الآن إلى واحد من أكبر القطاعات التجارية المربحة في العالم! فقد كان الإنسان، أياً كان ديه ولونه، في ظل الحضارة الإسلامية، في أي مدينة إسلامية، في أي قرن من تلك القرون، يدخل المستشفى مريضاً، ويخرج معافى، وبمال في جيبه.

رضا الله

الغاية





أول مستشفى للحيوانات في التاريخ

مستشفى اللقالق في بورصة

أقدم مستشفى حكومي للحيوانات في العالم..
مستوصف متكامل في بورصة مخصص لعلاج
اللقالق الجريحة والطيور المهاجرة على نفقة الدولة.





المشكلة



طيور اللقلق المهاجرة كانت تصل إلى الأراضي العثمانية مريضة أو جريحة وغير قادرة على الطيران، فتموت دون علاج.

الابتكار



أنشئ في مدينة بورصة (العاصمة الأولى للدولة العثمانية) مبنى باسم "غرباخانه لاكلان" (منزل الغرباء من اللقالق). كان مستوصفاً متكاملاً لعلاج اللقالق الجريحة والطيور المهاجرة المريضة، وكذلك الحيوانات الأليفة والشريدة، كل ذلك على نفقة الدولة.

الأثر



يُعدّ أقدم مستشفى معروف للحيوانات في العالم. أُعيد تأهيله وافتتح من جديد عام 2010 كمستشفى حديث للحيوانات.

رضا الله

الغاية





وقف لرعاية الكلاب الضالة

محكمة الكلاب بدمشق

رفق مؤسسي يسبق جمعيات الغرب بقرون.. دمشق
تنشئ "محكمة الكلاب" كوقف دائم لإنقاذ الكلاب
الضالة من عذاب الجوع والموت.



الكلاب الضالة التي لا صاحب لها كانت تعاني من الجوع الشديد، وقد تهاجم الناس بحثاً عن الطعام.



المشكلة

أنشئ وقف في حي "العمارة" بدمشق سُمِّي بـ "محكمة الكلاب". يُنفق من ريعه على إطعام الكلاب الضالة "استنقاذاً لها من عذاب الجوع، حتى تستريح بالموت أو الاقتناء".



الابتكار

نموذج فريد للرفق بالحيوان المنظم مؤسسياً، يسبق محاولات جمعيات الرفق بالحيوان الغربية (أقدمها تأسست في لندن عام 1824) بقرون عديدة.



الأثر

رضا الله



الغاية



أول مشافي أخلاقية للأمراض النفسية!

كانت في الحضارة الإسلامية

علاج نفسي راقٍ بالكلمة الطيبة والقرآن..
ببمارستانات إسلامية تتعامل مع المرض النفسي
كخلل يستوجب الرعاية في حين كانت أوروبا تقيّد
مرضاها بالسلاسل وتسخر منهم.





المشكلة

حتى أواخر القرن الثامن عشر، عانى المرضى النفسيون في أوروبا من قسوة بالغة. في مستشفى "بيدلام" (Bethlem) في لندن، كان المرضى النفسيون يُقيّدون بالسلاسل ويُضربون، بل وكانوا يُعرضون كـ "متحف أحياء" يدفع فيه الأثرياء بضع بنسات للتفرج عليهم والسخرية منهم. لكن، الوضع كان مختلفاً في العالم الإسلامي!

الابتكار



في القرن الثامن، شهدت بغداد إنشاء أول جناح متخصص للأمراض النفسية في العالم، حيث جرى التعامل مع المرض النفسي كخلل طبي يستوجب الرعاية لا العقاب.

بلغ هذا التطور قمته بافتتاح البيمارستان المنصوري للأمراض النفسية في القاهرة، حيث كان العلاج يشمل الإقامة في غرف نظيفة، والتغذية الجيدة، وتلاوة القرآن الكريم لبعث الطمأنينة في النفوس. كما كان الأطباء يجلسون للتحدث مع المرضى بهدوء في سبق واضح لـ "العلاج بالكلام". وعند الشفاء، كان المستشفى يُعطي المريض ملابس جديدة ومالاً يكفيهِ حتى يعود لحياته الطبيعية دون ضغط.

الأثر



ما عُرف في الطب الغربي بـ "العلاج الأخلاقي" (Moral Treatment) في إنجلترا (في نهاية القرن الثامن عشر)، كان ممارسة طبية ومؤسسية روتينية في العالم الإسلامي قبل أن تعرفه أوروبا بقرون طويلة.

رضا الله

الغاية





الحمّامات العامة ثقافة

أرقى أنظمة الوقاية الصحية والبيئية

رفاهية النظافة الشخصية التي تقي من الأوبئة..
مئات الحمامات العامة في الأندلس بهندسة مبتكرة،
بينما كان الاغتسال في أوروبا يُعد خطيئة.





المشكلة

في أوروبا، كان الاجتسال يُعدّ في بعض الأحيان خطيئةً أو بدعةً. شارلمان، أقوى ملوك أوروبا في القرن التاسع، كان نادراً ما يغتسل. الملكة إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة (القرن الخامس عشر) افتخرت بأنها لم تغتسل إلا مرتين في حياتها. وكانت الطواعين تجتاح المدن الأوروبية كل بضعة عقود، والسبب هو انعدام النظافة الشخصية والبيئية.



الابتكار

في الأندلس، كان الحمّام العام ركيزةً ثقافية. في قرطبة وحدها بلغ عدد الحمامات العامة أكثر من 900 حمّام. صُمّمت الحمامات بهندسة مبتكرة: قاعات باردة وفاترة وساخنة، وأنظمة تسخين أرضي. كان الزوار يُدلّكون بالليف والصابون المعطر، ويُعطّون المناشف النظيفة. وامتد هذا النموذج من قرطبة إلى غرناطة وإشبيلية وسائر مدن الأندلس.



الأثر

بعد سقوط الأندلس، أغلق الإسبان الحمامات العامة تدريجياً باعتبارها "عادةً إسلامية!". لكن... بعد ذلك بأقل من قرنين ضربت أوروبا موجات الكوليرا والطاعون مجدداً، ودفعت ثمن جهلها ملايين الموتى. فيما كانت الأندلس المسلمة قد عرفت الوقاية قبل أن يُعرف اسم الجرثومة.



الغاية

رضا الله



المدينة الأوربية الراقية التي لا تقارن

قرطبة .. حضرة البيئة والنظافة والإنارة والابتكار الحضري

شوارع مرصوفة ومناورة بشبكة مجاري معقدة في القرن العاشر.. قرطبة تتألق بنظام بلدي مبهر في وقت كانت فيه شوارع مدن أوروبا مستودعات للقمامة.





المشكلة

في أوروبا القرون الوسطى، كانت الشوارع مستودعاً مفتوحاً للقمامة. في لندن وباريس، كان السكان يرمون مخلفاتهم وفضلاتهم مباشرةً من النوافذ إلى الشارع. لا إنارة ليلاً، ولا رصف، ولا تنظيف. ولندن لم تحصل على أول إنارة منتظمة لشوارعها إلا في القرن الثامن عشر.



الابتكار

في قرطبة القرن العاشر في عهد عبد الرحمن الثالث، كانت شوارع قرطبة مرصوفة بالحجارة، والبلدية تُوظف عمالاً لكنسها يومياً ورشها بالماء في فصل الصيف. وعلى جانبي الطرق مصابيح زيتية تُنير الشارع ليلاً. وامتلكت المدينة شبكة صرف صحي تحت الأرض لم يُصاهَ مستواها في أوروبا حتى القرن العشرين.



الأثر

الراهبة الألمانية هروسفيتا – وهي من أبرز المثقفين الأوروبيين في عصرها – أطلقت على قرطبة لقب "زينة العالم"، ولم تكن تُقارن بها بمدينة أوروبية أخرى لأنه ببساطة لم يكن ثمة ما يُقارن. قرطبة في القرن العاشر كانت تضم حتى مليون نسمة، وكانت المدينة الأكبر والأكثر تحضراً في أوروبا بأسرها، في وقت لم تتجاوز فيه لندن بضعة آلاف من السكان يعيشون في الطين. لندن انتظرت سبعة قرون لتلحق بما حققته قرطبة المسلمة.



الغاية

رضا الله



حين جعل عمر بن عبد العزيز العيدَ بلا فقير

اخترعت وزارة الزكاة قبل ألف عام

نظام إداري يلاحق الفقر حتى يمحوه.. إيصال أموال الزكاة وكسوة العيد لبيوت المحتاجين بكرامة تامة حتى اكتفى الناس ولم يبقَ من يأخذها.





المشكلة

في أغلب المجتمعات، العيد يكشف الفوارق: أغنياء يلبسون ويأكلون، وفقراء يراقبون بصمت. لا سجلات للفقراء، ولا نظام توزيع، ولا التزام على أحد. كل شيء متروك لمزاج المتصدّق.



الابتكار

قرر الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يجعل للزكاة نظام إدارة لا مجرد وعظ. فوضع سجلات بأسماء الفقراء في كل بلد، وعيّن موظفين مختصين يجمعون الزكاة ويصلون بها إلى البيوت قبل العيد.

لم ينتظر أن يأتي الفقير إلى المسجد؛ بل جعل الدولة تذهب إليه. كما أقرّ كسوة العيد من بيت المال، ليحصل الفقير على ثوب جديد، فلا يقف في صف الصلاة وهو يستحي من ملابسه.



الأثر

بعد مدة قصيرة، عاد عمّال الزكاة من بعض الأقاليم يقولون: "لم نجد من يأخذ الزكاة"؛ لأن الناس قد كفّوا. هنا يظهر الابتكار الحقيقي: لم تكن الزكاة أموالاً مكدّسة، بل نظام إدارة يلاحق الفقر حتى يختفي، لا فقراء يلاحقون الأغنياء حتى يحنّوا.



الغاية

رضا الله



أقدم مطعم مجاني لا يزال يعمل!

الهندسة الحقيقية لاستدامة الأثر

473 عاماً من العطاء بلا انقطاع.. اكتشف سر
استدامة الصرح الإسلامي الذي يطعم الجوعى في
قلب القدس دون أن يسألهم عن دينهم.





المشكلة

في أوروبا القرون الوسطى وحتى القرن التاسع عشر، كانت المجاعة تقتل الفقراء في المدن الكبرى بأعداد مهولة. باريس عام 1788م كان فيها آلاف يموتون جوعاً في الشوارع، وكان ثلثا دخل الفلاح الفرنسي يذهب لشراء الخبز وحده.



الابتكار

عام 1552م، في قلب القدس على بُعد مئة متر من المسجد الأقصى، أمرت هُرْم سلطان – زوجة سليمان القانوني – ببناء تكية وقفية تُطعم الفقراء والمسافرين وعابري السبيل مجاناً كل يوم، ولا يُسأل أحدٌ منهم عن دينه أو نسبه. كانت مجمعاً متكاملًا من 55 غرفة لإيواء الحجاج، ومخبز، واسطبلات، ومخازن. وأوقفت السلطانة لأجلها أكثر من 90 مَدِينَة وقرية في فلسطين كمصدر تمويل لها إلى الأبد.



الأثر

مرّت على هذه التكية الحروب والزلازل والانتدابات والاحتلالات، ولا تزال تعمل حتى اليوم عام 2026م، أي منذ 473 عاماً متواصلة. وهذا النموذج لم يكن وحيداً، بل كان العالم الإسلامي يضم مئات التكايا من إسطنبول إلى مكة إلى بغداد، كلها وقف دائم لا يتوقف بتغيّر الحاكم ولا بأزمة التمويل.



الغاية

رضا الله

المراجع

- القصة #1: بيت تهدئة الخلاف الزوجي - وقف الزوجات الغاضبات أحمد حسن الباقوري؛ نقلاً عن: د. يوسف القرضاوي، نظام الوقف في الفقه الإسلامي.
- القصة #2: وقف الأواني الصينية للخدم - تعويض الخدم عن الأواني المكسورة أحمد حسن الباقوري؛ نقلاً عن: د. يوسف القرضاوي، نظام الوقف في الفقه الإسلامي.
- القصة #3: أول بيمارستان عام منظم في التاريخ - البيمارستان الأموي بدمشق ابن جبير، رحلة ابن جبير؛ د. أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام؛ المقرئزي، الخطط المقرئزية؛ زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب.
- القصة #4: وقف الإيحاء بالشفاء - ممرض الإيحاء النفسي في البيمارستان أحمد حسن الباقوري؛ نقلاً عن: د. يوسف القرضاوي، نظام الوقف في الفقه الإسلامي.
- القصة #5: عطلة الحيوانات الرسمية - يوم الجمعة راحة للدواب نيرمين تايلان، محظورات في الدولة العثمانية.
- القصة #6: وقف الثوب الملوّث - تعويض من تلوّث ثوبه في السوق روائع الوقف الاجتماعي في التراث الإسلامي (إسلام ويب - المكتبة الإسلامية).
- القصة #7: أقدم جامعة مستمرة في العالم - جامعة القرويين بفاس عبد الهادي التازي، جامع القرويين.
- القصة #8: أول مستشفى تعليمي متخصص - البيمارستان العضدي ببغداد د. أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام؛ مراجع تاريخ الطب الإسلامي الوسيط.
- القصة #9: وقف حراسة الأماكن المخوفة - أوقاف أمن الطرق روائع الوقف الاجتماعي في التراث الإسلامي؛ دراسات عن تاريخ الوقف الأمني في المدن الإسلامية.
- القصة #10: دار تقاعد الحيوانات - المرج الأخضر بدمشق مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا؛ مؤسسة البخاري للتاريخ العثماني.
- القصة #11: وقف تزويج المكفوفين بفاس - دار تزويج المكفوفين روائع الوقف الاجتماعي في التراث الإسلامي (إسلام ويب - المكتبة الإسلامية).
- القصة #12: نقطة الحليب - ميزاب الحليب والسكر في قلعة دمشق روائع الوقف الاجتماعي في التراث الإسلامي (إسلام ويب - المكتبة الإسلامية).
- القصة #13: مدرسة القطار - مطعم مفتوح للقطط الضالة بدمشق مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا.
- القصة #14: أول صيدلية عامة - فصل مهنة الطبيب عن الصيدلاني Martin Levey, Early Arabic Pharmacology؛ Sami Hamarneh & Ahmad Y. Al-Hassan, Science and Technology in Islam؛ G. Sonnedecker, A Pharmaceutical View of Abulcasis.
- القصة #15: شبكة الخانات على الطرق - فنادق القوافل المجانية ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار؛ Doris Behrens-Abouseif, Cairo of the Mamluks؛ Robert Hillenbrand, Islamic Architecture.
- القصة #16: الصك المصرفي - الصك (الشيك) قبل البنوك الأوروبية Subhi Labib, Capitalism in Medieval Islam؛ Janet Abraham Udovitch, Partnership and Profit in Medieval Islam؛ Abu-Lughod, Before European Hegemony.

المراجع

- القصة #17: ضيفة خاتون - المرأة التي حكمت حلب وبنّت الخانات الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء؛ ابن كثير، البداية والنهاية؛ دراسات حديثة عن ضيفة خاتون وخانات الطريق في حلب.
- القصة #18: فاطمة السمرقندية - الفقيهة التي صحت فتاوى زوجها ترجمت سير الفقيهات: مصادر عن علاء الدين الكاساني وفاطمة السمرقندية في كتب التراجم والفقهاء الحنفي.
- القصة #19: زينب بنت كمال الدين - العذراء الكبرى في الحديث كتب التراجم: الذهبي، سير أعلام النبلاء؛ ابن حجر، الدرر الكامنة؛ دراسات عن المحدثات في دمشق.
- القصة #20: مريم الإسطرلابي - تطوير الإسطرلاب وخدمة بلاط حلب دراسات تاريخ العلم عند العرب: مقالات عن مريم الإسطرلابي في تاريخ الفلك الإسلامي؛ موسوعات أعلام العلماء المسلمين.
- القصة #21: رباط المطلقات والأرامل - رباط تذكرياتي خاتون أوقاف المسلمات عبر التاريخ الإسلامي (مركز باحثات)؛ مصادر عن رباطات النساء في العصر المملوكي.
- القصة #22: ديوان المظالم - القضاء الإداري ومحاسبة الولاة ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية؛ ابن خلدون، المقدمة؛ د. محمد سلام مذكور، القضاء في الإسلام.
- القصة #23: القهوة خانة - أول مقهى وثقافة القهوة المراجع 32-45 في قائمة الروابط: مقالات ومراجع عن تاريخ القهوة والمقاهي الإسلامية، منها: مقالات عن تاريخ القهوة في تراث المسلمين، ومواد موسوعية عن Ottoman coffeehouse وتاريخ المقهى.
- القصة #24: أول تأمين صحي شامل - شبكة البيمارستانات الوقفية القرظي، الخطط القرظية؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار؛ د. أحمد عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام؛ زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب؛ Michael Dols, Medieval Islamic Medicine.
- القصة #25: مستشفى اللقالق في بورصة - أول مستشفى للحيوانات نيرمين تايلان، محظورات في الدولة العثمانية؛ مؤسسة البخاري للتاريخ العثماني.
- القصة #26: محكمة الكلاب - وقف إطعام الكلاب الضالة بدمشق علي الطنطاوي، ذكريات (ج7، ص312)؛ د. يوسف القرظاوي، نظام الوقف في الفقه الإسلامي.
- القصة #27: علاج المرضى النفسيين - أجنحة الأمراض النفسية والبيمارستان المنصوري القرظي، الخطط القرظية؛ ابن بطوطة، تحفة النظارة؛ Michael Dols, Majnun: The Madman in Medieval Islamic Society؛ Franz Rosenthal, The Classical Heritage in Islam؛ مقالات حديثة عن علاج المرضى النفسيين في العهد المملوكي.
- القصة #28: حمامات الأندلس - 900 حمام عام في قرطبة مصادر تاريخ الأندلس العمراني: دراسات عن حمامات قرطبة العامة، وشبكات النظافة والصحة في الأندلس؛ شذرات من كتب الجغرافيا العربية.
- القصة #29: شوارع قرطبة المرصوفة والمنارة - نظافة وإنارة المدينة كتب الرحلات والجغرافيا: وصف قرطبة في نصوص هروسفيتا والرواة الأوروبيين؛ مراجع عن البنية التحتية في الأندلس الإسلامية.
- القصة #30: إدارة الزكاة في عهد عمر بن عبد العزيز - عيد بلا فقراء: ابن سعد، الطبقات الكبرى؛ ابن كثير، البداية والنهاية؛ دراسات عن سياسة عمر بن عبد العزيز في الزكاة والعدالة الاجتماعية.
- القصة #31: تكية هزم سلطان في القدس - تكية الخانقاه العثمانية بجوار الأقصى؛ كتب تاريخ القدس العثمانية؛ دراسات عن تكية خاصكي سلطان (هزم سلطان) في القدس ووقفها؛ سجلات الأوقاف العثمانية في فلسطين.